جريدة النجاح والدعوة للتكفل بالطفولة الجزائرية ضحية السياسة الاستعمارية(1924-1933)

د. تاونزة محفوظ
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
د. سبيحي عائشة
المركز الجامعي مرسلي عبدالله، تيبازة

تاريخ الإرسال: 2018-08-07- **تاريخ القبول:** 2019-04-21

ملخص
يتناول هذا المقال اهتمام جريدة النجاح خلال فترة (1924- 1933) بالواقع المأسوي لأطفال الأهالي الجزائريين حيث لم تتوان هذه الجريدة في الكشف عن معاناتهم من الأمراض والأوبئة الخطيرة كالتيفوئيد والسل، ومن خطر المجاعة، إضافة إلى استغلالهم اللاإنساني من طرف المستوطنين الرأسماليين مما دفعهم إلى العزوف عن الدراسة وانشغالهم رفقة أوليائهم بلقمة العيش، في الوقت الذي أدارت فيه المؤسسات الصحية والتعليمية الاستعمارية ظهرها لهم، باعتبارهم أبناء أهالي فاقدين لحقوق المواطنة مقارنة مع أبناء المستوطنين الذين تمتعوا بكل الحقوق الصحية والتعليمة. كما يتناول المقال دعوة الجريدة الإدارة الاستعمارية والمؤسسات الخيرية للتحرك بهدف إنقاذ هذه الشريحة والتكفل بانشغالاتها، مما أعطى لدعوتها أهمية إعلامية بالغة التأثير في الاهتمام بهاد الواقع الكارثي لأطفال الجزائر.

الكلمات الدالة: جريدة النجاح؛ أطفال الجزائر؛ أطفال الجزائر الأيتام؛ المجاعة؛ الأمراض؛ الأوبئة؛ التعليم؛ السياسة الاستعمارية.

Abstract
This article examines the tragic situation of the Algerian children as viewed by Al-Najah newspaper during the period (1924-1933). This newspaper did not hesitate to reveal the children' suffering from various diseases and serious epidemics such as typhoid, tuberculosis, and even starvation. More than that, the children were exploited by the capitalist settlers, and

used by the evangelist missionary. This painful situation forced them to leave school because they were preoccupied with their parents 'livelihood whereas the educational and health institutions turned their back on them and considered them as children of those who lost their citizenship' rights compared to French settlers. Therefore, the newspaper appealed to the colonial administration and charities to save this social segment and ensure its concerns. Hence, we see the role played by Al-Najah newspaper in evoking that issue and influencing the other to lend a hand in order to save the children of Algeria from the catastrophic reality that they have suffered during that period.

Keyword: Al-Najah newspaper; children of Algeria; diseases; epidemics; education; colonial policy.

Résumé

Cet article examine les préoccupations du journal Al-Nadjah quant à la situation tragique des enfants algériens pendant la période allant de 1924 à 1933. Ce journal n'a pas manqué de révéler les maladies et les épidémies graves dont souffrent ces enfants telles que la typhoïde et la tuberculose et le risque de famine, en plus de leur exploitation inhumaine de la part du colon capitaliste. Par ailleurs, les associations des missionnaires ont exploité leur condition pour les convertir au christianisme. Cette situation douloureuse a poussé les enfants algériens à quitter l'école pour travailler afin d'aider leurs parents à subvenir à leur besoin, à un moment où les institutions de santé et de l'éducation coloniale leur ont tourné le dos d'une manière ou d'une autre. Ces institutions les considéraient comme ayant perdu leurs droits à la citoyenneté, par rapport aux enfants des colons qui jouissaient de tous les droits de la santé et de l'instruction. Par conséquent, le journal a appelé l'administration coloniale et les organisations caritatives à agir dans ce sens afin de préserver cette tranche de la population et de répondre à leurs préoccupations. D'où l'importance des médias pour l'intérêt qu'ils portent à la question pour son influence à amener l'autre à apporter son

aide afin d'extraire l'enfant algérien de la réalité désastreuse dans laquelle il se débâtait.

Mots-clés: journal Al-Najah; enfants d'Algérie; famine; maladies; épidémies; éducation; politique coloniale.

مقدمة

شهدت الجزائر خلال منتصف عشرينيات القرن الماضي ومطلع الثلاثينيات كوارث الجراد والمجاعة والأمراض والأوبئة ألقت بضلالها على المستوى المعيشي والصحي والتعليمي للجزائريين في ظل النظام الاستعماري المفروض عليهم،وكانت فئة أطفال الأهالي الجزائريين أكثر شرائح المجتمع الجزائري تضررا بسبب انعدام مؤسسات الرعاية جراء السياسة الاستعمارية القائمة على الاحتقار والاستغلال والتمييز العنصري إزاء هذه الشريحة،لكونهم أهالي مسلمين ظلت تعتبرهم جنسا من الدرجة الثانية فاقدين لحقوق المواطنة في الوقت الذي يتمتع فيه أطفال المستوطنين بكل الرعاية الصحية والحقوق التعليمية.لذلك تعمقت معاناة أطفال الجزائر واستغلت ظروفهم بطريقة اللاإنسانية في العمالة على يد المستوطنين الرأسماليين وحتمن قبل الجمعيات التنصيرية، وامتنع الكثير منهم عن الالتحاق بالتعليم لعدم قدرة أوليائهم على تسديد نفقات الدراسة، وكذلك إهمالهم أبناءهم بسب انشغالهم بلقمة العيش.هذه الظروف الأليمة التي مر بها الجزائريون تركت صداها في جريدة النجاح [1]،التي اهتمت بها إعلاميا وبدون انقطاع خلال فترة(1924-1933).

---

[1]- جريدة إخبارية ناطقة باللغة العربية، أصدرها عبد الحفيظ الهاشمي سنة 1919 بمدينة قسنطينة، وأسند رئاسة تحريرها إلى رفيق دربه في النضال الصحفي السيد مامي إسماعيل. كانت خلال المرحلة الأولى من ظهورها جريدة أسبوعية ثم نصف أسبوعية، وابتداء من شهر جانفي 1930 تحولت إلى يومية، واستمرت في الصدور بدون انقطاع لغاية سنة 1956،حيث توقفت بسبب حرب التحرير الجزائرية. تعددت اهتمامات الجريدة إذ شملت الدين والتربية والثقافة والعلوم والإجتماع والسياسة والإقتصاد، واهتمت كذلك بمجريات الأحداث والتطورات السياسية في العالم عامة والعالم العربي والعالم الإسلامي خاصة. أنظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى1954، ط02، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2006، صص 48-49.

تتمحور إشكالية هذا المقال المحورية حول مدى مصداقية النجاح في معالجتها الواقع المأسوي لأطفال الجزائر خلال هذه الفترة؟وكيف عكست موقف الإدارة الاستعمارية من معاناة هذه الشريحة؟ وهل استطاعت"النجاح" أن تحدد الجهات المسؤولة عن مأساة أطفال الجزائر؟ وما هي الوسائل والآليات التي اقترحتها النجاح لإنقاذ هذه الشريحة من الوضع الكارثي الذي آلت اليه؟ وما هو دورها في تحسيس الجزائريين بهذه الظروف الصعبة واستنهاض هممهم؟

إن دراسة هذا الموضوع تتطلب القيام بجرد شامل لأعداد الجريدة[2] الصادرة خلال فترة(1924-1933)، وهي الفترة إلي شهدت خلالها الجزائر تللك الظروف الصعبة ومواكبة النجاح لها. ومما يجب التذكير به أن هذا الموضوع تم دراسته وفق متطلبات المنهج التاريخي التحليلي، حيث قمنا بجمع كم هائل من المقالات الصحفية،والتقارير والتحقيقات وغيرها من القوالب الصحفية، ثم تحليل مضامين المادة الإعلامية ومن ثم إبراز موقف النجاح من الواقع المأسوي لأطفال الجزائري في هذه الفترة. ولتوثيق دراستنا علميا استشهدنا بمقتطفات من النصوص(المقالات) كسندات للتحليل والتعليل.

1-الدعوة لإنقاذ الطفولة الجزائرية من مخاطر المجاعة والأمراض والأوبئة

أدى الجفاف واجتياح الجراد أراضي الجزائر وما خلفاه من إتلاف المحاصيل الزراعية وهلاك الماشية وانتشار المجاعة والأوبئة ومختلف الأمراض إلى تعميق معاناة الشعب الجزائري عامة وأطفاله خاصة في ظل السيطرة الاستعمارية، فاستأثرت تلك الظروف اهتمامات جريدة النجاح، التي تأسفت على الواقع الكارثي الذي آل إليه أطفال الجزائر، من خلال كتاباتها الهائلة التي جاءت في صدر افتتاحياتها، محاولة منها لفت

[2]-تجدر الإشارة إلى أن أعداد الجريدة الخاصة بفترة (1919-1922)مفقودة، أما الأعداد المتعلقة بفترة(1923-1956) فهي متوفرة كلها في شكل ميكرو فيلم بالمكتبة الوطنية(العاصمة) تحت رقم:م ر 31.

انتباه السلطات الاستعمارية والجزائريين على مختلف فئاتهم إلى ذلك الواقع المؤلم، لعلهم يغيثون الطفولة الجزائرية، نذكر في هذا الصدد ما جاء في افتتاحية بعنوان ''صغار اليتامى والحكومة العسكرية''سنة 1924، صور صاحبها[3]معاناتهم بقوله: "رأينا منذ ثلاث سنوات أن المجاعة والحمى التيفوئدية كانتا سببا لموت خلق كثير من سكان الصحراء الجزائرية[4]،ذهبت المجاعة لكن نتائجها لازالت قائمة،فقد جلنا بالصحراء الجزائرية في الأشهر الماضية ورأينا أن الفقر والحزن والأسى لا زال يظهر على وجه القوم"(النجاح،1924،العدد162،ص1)

وفي وصفه للمشهد المؤلم لأطفال الجزائر أشار قائلا: « ...فقد رأينا كل نهار بالطريق الواسع أمام الخلق الذين كانوا جماعات من صبيان لا يذهبون ولا يصغون لصياح الطاهي(الطباخ)، ولا لتهديد الشرطة.ولا زالت هذه المجاعة بمكانها، ولا شك أنها تمكث به ما دامت حالتها لم تتحسن.هم صبيان بين سن السادسة والرابعة عشر في العمر مات أبائهم وجميع أقاربهم إثر المجاعة والحمى التيفوئدية، يعيشون كيفما أمكن ينامون إن وجدوا، يأكلون مما يرزقهم الله، يأتون جماعات أمام الحان(أماكن خاصة بالإطعام والمشروبات)، راجين من السواح الذين هم أكرم وأرحم من حكامنا أن يتصدقوا عليهم بشيء أو بقطعة خبز...»(النجاح،1924، العدد162،ص 1)

وأظهر تأسفه كذلك إزاء إهمال الأيتام في الشوارع،وعطف بعض العائلات الجزائرية عليهم ومحاولة احتضانهم في المناطق الصحراوية، ومشيرا كذلك إلى اهتمام الجمعيات التنصيرية لاسيما الأخوات البيض[5] بفئة البنات من اليتامى الجزائريين:«...قام سكان

---

[3]- للكاتب الفرنسي جون ميليا (من المتعاطفين مع المسلمين الجزائريين)،رئيس مكتب شارل جونار الحاكم العام للجزائر خلال فترتي(1900-1911) و(1918-1921). علما بأن المقال نقلته "النجاح"عن جريدة الصباح الباريسية، وقامت بتعريبه ونشره للقراء الجزائريين.

[4]- مثل بسكرة وضواحيها، المسيلة، بوسعادة، الأغواط، ورقلة، تقرت،واحات باتنة، وغيرها من المناطق الصحراوية

[5]-(Sœur blanches): فرقة دينية تنصيرية أسسها الكاردينال–أحد أبرز رجالات التنصير في الجزائر- سنة 1869 للقيام بمهمة تنصير المرأة الجزائرية المسلمة عن طريق المساعدات الغذائية والخدمات الصحية والتعليم. لاستزادة في الموضوع، راجع: سعيدي مزيان، السياسة الاستعمارية

الصحراء بواجبهم، فقد أخذت كل عائلة واحدا أو اثنين من اليتامى الذين أهملوا، والأخوات البيض أخذت عددا من البنات هن الآن قائمات بتربيتهن...»، لكن هذه المواقف لم تكن كافية لتخليص هذه الفئة من معاناتها بسبب كثرة عدد الأطفال اليتامى المهملين.(النجاح، 1924، العدد162، ص 1)

ولم يتردد صاحب المقال في انتقاده الإدارة العسكرية في الجنوب على التقصير واللامبالاة إزاء ما تعرض له أطفال الجزائر: و"كانت الإدارة إذ ذاك برهنت عل ضعفها وخورها ولذلك لما سمى المسيوستيق(الوالي العام) فالولاية العامة قوبلت توليته بأنها أعظم وأجمل ما يرجى ولا زال ذلك الرجاء فيه،إلا أن الإدارة الجزائرية لا تزال تعمل بجهل وتفريط وغفلة كما ذلك دأبها". فما على مسيو(ستيق) إلا تفقدهم وإعانتهم وما عليه أيضا إلا أن يرى ما يقع بالإيالة الصحراوية وما هو موجود بها من الإدارة الساقطة العاجزة، إن الحكم العسكري لا يوافق الأفكار الفرنسية، وهو عاجز عن التحذير من المجاعات ومعالجتها وعاجز عن إعانة اليتامى فهو يستحق أن يزول وسيزول.(النجاح،1924،العدد162،ص 1)

وفي توجيه نداء استغاثة للسلطات الفرنسية طالبها بتوفير مأوى "لهؤلاء اليتامى الذين تكلمنا عليهم"،وإزالة الحكومة العسكرية في الجنوب إزالة نهائية، باعتبارها إدارة صورية لعجزها عن معالجة هذا الموضوع، مؤكدا أن ما حدث لأطفال الجزائر وإهمال التكفل بهم يعد بمثابة فضيحة مست شرف الأمة الفرنسية (النجاح،1924، العدد162، ص 1)

وقد ناشدت الجريدة السلطة الاستعمارية التدخل لإنقاذ طفولة الجزائر من المخاطر المحدقة بها: " نلتمس من سعادة الوالي العام أن يبادر بتحسين حالة اليتامى الذين لاشك تزداد حالتهم وخامة هاته السنة ونترجى أن ينظر الحالة بعين بصير".(النجاح،1924،العدد162،ص 1)

الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها(1871-1914)، ج02، ط01، دار سنجاق الدين للكتابة، 2010، ص ص192-212.

وفي افتتاحية أخرى بعنوان: "يعوزهم المأوى فيقتلهم البرد" بينت من خلالها "النجاح" استمرار معاناة الأطفال الأيتام جراء المجاعة وغيرها من النكبات الطبيعية التي عرفتها البلاد سنة 1931 :«...وما برحت هذه النقمة تقرع أسماعنا منذ توالت نكبات المجاعة، والأزمات الداخلية والخارجية على هذا الوطن المسكين. قلنا حين ذاك هذا تأثير الضائقة السنوية، والمجاعة النازلة، ولا تلبث أن تعقبها ساعة الفرج،فلما توالت السنون عزوفا ذلك إلى شح السماء بمائها، والأرض عن أبنائه، وموت الماشية من جرائها إلى أخر ما رحنا نظلم به القدر جهلا منا.... الفقراء والأيتام في الشوارع الذين لا ملجأ لهم إلا الله عز وجل، ورحمته أوسع وأولى بالالتجاء إليها من رحمتكم أنتم أيها القوم...».
(النجاح، 1931، العدد1349، ص1)

وحملت الإدارة الاستعمارية الممثلة في بلدياتها المختلفة مسؤولية الوضع الكارثي الذي أصبحت عليه شريحة الفقراء الأطفال الأيتام،حيث أهملت مساعداتهم معنويا **وماديا**.(النجاح، 1931، العدد 1349، ص1)

واصلت "النجاح" اهتمامها بموضوع انتشار الأمراض في الجزائر وانعكاساتها على صحة الطفولة الجزائرية،منها مرض السل القاتل، من خلال المقال الذي نشرته بعنوان: "حاربوا داء السل" سنة 1928 مشيرة إلى مخاطر هذا المرض بقولها: «...إن السل من أفتك الأمراض السارية،إذا تفشى في أمة فإنه يفتك بهم فتكا ذريعا، لا تستطيع الحكومات مقاومته إن لم يعضدها الشعب ،لأن الأدوية المكتشفة حديثا للقضاء عليه تكلف غاليا،ولذلك أخذت تبحث عن الطرق الناجعة التي تتمكن بواسطتها من الحصول على المال.وتألفت لجان خاصة في مختلف الأقطار الغربية، مهمتها تنبيه الناس إلى الاتقاء من شر هذا الداء، الذي أصبح أشد خطرا من الحروب إساءة، يذهب بأرواح الآلاف من البشر في كل عام.وهذه فرنسا فإنها لم تكن تخرج من الحرب إلا وفاجأها هذا الداء الوبل، الذي يقضي على مائة وخمسين ألفا من النفوس الآمنة في **كل سنة**».(النجاح،1928،العدد668،ص1)

وعن انتشاره في الجزائر نبهت لذلك بقولها: «...كذلك مفعول هذا الداء قد أشتد في وطننا الجزائري وتفشى كثيرا في الأطفال، فإن لم نأخذ حذرنا ونعمل بتعاليم الحكومة وإرشادها لبقينا نتخبط في أمرنا ولساءت **العاقبة**...» (النجاح،1928،العدد668،ص1)

ومن ضمن الوسائل التي روجت لها النجاح لتوفير الإمكانيات اللازمة للاحتياط من هذا المرض، فكرة ضرورة اقتناء طابع بريدي أصدرته الحكومة الفرنسية خصيصا لتوفير المال اللازم لشراء الأدوية،وغيرها من الوسائل الضرورية لمقاومة داء السل: «...ولما رأت حكومة الجمهورية أن لا مناص من هذا الداء إلا باستحضار الدواء الواقي الذي يكفينا شره، فقد أخذت تفكر في إيجاد طريقة مناسبة للحصول على المال اللازم فوضعت طوابع... وقيمة كل طابع عشر سنتيمات... إنما تباع لإعانة المؤسسات الصحية...وقد أتى بيع هذه الطوابع خلال السنين الماضية بنتائج حسنة في فرنسا، إذ تمكنت المستشفيات من تجهيز الدواء الكافي الذي يساعد على تخفيف ويلات هذا الداء...»(النجاح، 1928، العدد668، ص1)

وأملت النجاح أن تكون استجابة الجزائريين لهذه المبادرة كبيرة،حيث أشارت لذلك بقولها: «...أما في قطرنا فإننا نعتقد أن هناك رجالا كثيرين يغارون عن مصالح الوطن، ولا يقصرون في سبيل مساعدة إخوانهم، وتخفيف آلامهم، وأملنا وطيد في كونهم سيقبلون على شراء هذه الطوابع واقتنائها،الأمر الذي يظهر به للملأ أننا قوم لا نقصر عن القيام بواجبنا نحو الإنسانية... ». (النجاح، 1928، العدد668، ص1)

وتشير "النجاح"إلى الأهمية القصوى التي تعطيها عمالة قسنطينة مسقط رأس هذه الجريدة لعملية بيع [6] الطابع (التامبر) الدولي المخصص لمحاربة داء السل،والاحتراز من هذا الداء بقسنطينة، حيث أن الجزائر منتشر بها هذا الداء،"يجب عليها أن تشارك في هذه الحرب العوان التي أقبضت على هذا الداء ببيع الطابع.وما يجمع من المال يصلح به سلاح العمالة لمحاربة هذا الداء، وإدخال المرضى إلى المستشفيات، وإبعاد الأولاد عنه سواء بالمستشفيات الاحتياطية أو قرب البحر، ليمكنهم إيجاد الصحة بالبعد عن هذا الداء القاتل، ولا يمكن ان تتباعد أي فئة وأي جماعة لها دخل

[6]- حسب ما أشارت إليه "النجاح" أن عملية البيع ستنطلق مع بداية شهر ديسمبر سنة 1928 وتستمر لغاية أول جانفي سنة 1929 وستتولى تنظيم العملية اللجنة العمومية لمحاربة داء السل بعمالة قسنطينة.

في حفظ الصحة عن إعانة هذا المشروع والبلديات خصوصا يجب عليها أن تعضد هذا المشروع "(النجاح،1928، العدد668،ص1)

وفي صدد دعوتها لحماية الطفولة، حاولت النجاح سنة 1930تحسيس الجزائريين بالمخاطر الصحية الناجمة عن أمراض الحيوانات المستأنسة كالكلاب والقطط والطيور البيتية وغيرها، حيث نشرت في هذا الصدد مقالا بعنوان: "التوقي من أمراض الحيوانات"نقتطف منها الأتي:«...والواقع الذي لا شك فيه هو أن ثلاثة أرباع الأمراض الخبيثة التي يصاب بها الإنسان تنشأ في جسمه من المكروبات القتالة،التي تندس فيه من كلب أو حصان أو غيرهما من الحيوانات التي يقترب منها وتقترب منه.وقد أدركت الحكومات الراقية أخطار هذه الحيوانات، فحذرت الإنسان منها،وعلمته كيف يتقي أخطارها بقدر الإمكان إن لم يستطع الاستغناء عنها تماما، ورأينا مرات كثيرة على جدران الدوائر في أوروبا،وأمريكا صور الحيوانات الأليفة،وقد كتبت فوقها بخط عريض عبارات التحذير منها والابتعاد عنها، ووصفها بكونها ألد أعداء الإنسان...» (النجاح، 1930، العدد 876، ص3)

وتسترسل النجاح في إبراز تداعيات الاحتكاك بهذه الحيوانات على صحة الأطفال بقولها«...وبلغ جهل أخطار هذه الحيوانات في الناس أنهم يسمحون لهم لاسيما الكلاب والقطط بالنوم في أسرتهم وبجانب أولادهم، جاهلين بهذا العمل، يضعون الموت بجانب أولادهم بما تنفث هذه الحيوانات في وجوههم من المكروبات القتالة، وبما يسرى إلى جسوم الحيوانات من الأوبئة الجلدية كالجرب وغيره بواسطة الاحتكاك، وانتقال جراثيم الأمراض السريعة... » (النجاح، 1930، العدد 876، ص3)

وتستمر في تأكيدها على ضرورة تجنب الاحتكاك بهذه الحيوانات فتؤكد بقولها: «...ومن الجهل الفاضح أن يعرض الإنسان حياته وحياة عائلته لخطر الموت من أجل سلواه لمعاشرة كلب،أو أي حيوان آخر ومثل الكلب،خطر الطيور البيتية التي يدخلها الإنسان إلى بيته كالحجال والببغوات والنموس والعصافير وغيرها ...» (النجاح، 1930، العدد 876، ص2)

وقامت النجاح مرة أخرى بنشر الحلقة الثانية من المقال"التوقي من أمراض الحيوانات' سنة 1930، حذرت فيه من مرض الكلاب الذي اعتبرته أشد خطرا من أمراض الحيوانات الأخرى، لما تأكله من الأوساخ والهوام والديدان التي تحمل جراثيم أوبئة

خبيثة: «...للكلاب مرض خاص خبيث اسمه مرض الدود، فإن الدود الصغير سريع النمو وكثير العدد في الكلاب، وينشأ فيها من أكل الهوام، والعناكب، والذباب. وهذه الهوام كلها سموم وجراثيم أوبئة خبيثة محمولة من الأقذار، والجيف الميتة التي تتغذى بها أحيانا كثيرة، وبرغوث واحد يأكله كلب كاف لإملاء جسمه كله بمكروبات هذا المرض الخبيث، ويجعل أمعائه وكل أعضائه الداخلية تعج بالدود الصغير الذي لا يزول إلا بموت الكلب ودفنه في مكان لا تصل إليه بقية الحيوانات.والكلب المصاب بمرض الجراثيم الدودية، يعدي سواه حتى أنيابه، والناس عادة يقبلون الكلب في وجهه وفمه ويمسحون له بتقبيلهم ولحس وجوههم ووجوه صغارهم، ومنهم من يطعمه بيده ويدخل أصابعه إلى فمه، وسمح له بالنوم في فراشه غير عالم بأنه يعرض نفسه للموت السريع بهذا العمل الفظيع والقذر... » (النجاح،1930،العدد877،ص3)

ولم يتوان صاحب المقال في دعوة الجزائريين إلى ضرورة تجنب الاحتكاك بالكلاب وتربيتها وقتلها في حالة اشتباهها بمرض الكلب، كل ذلك يوفر للأمة حسن الصحة العمومية ومن ثم زيادة رفاهيتها وسعادتها على حد تعبير "النجاح".(النجاح، 1930، العدد877، ص3)

وترى "النجاح" أن محاربة هذه الأمراض وحماية الطفولة الجزائرية تتوقف على المحسنين والأغنياء والمؤسسات الخيرية والجمعيات والمنظمات مختلفة الاتجاهات ومتعددة الاهتمامات حتى الإدارة الاستعمارية التي تقع على عاتقها هذه المسؤولية.وتضرب أمثلة حول هذا الموضوع بما كان يجري في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال ما جاء في مقال مفيد بعنوان "سخاء أغنياء الأمريكيين، مجموع هباتهم في ربع قرن: ألوف الملايين تنفق على إصلاح التعليم والصحة وأعمال البر والإحسان"، بينت من خلاله مدى اهتمام هذه الدولة ومؤسساتها المختلفة بالإنفاق على قطاعي الصحة والتعليم تبعا لتقرير أعد في سنة 1929، نقتطف منه المعطيات الإحصائية التالية: «... أن النفقات العمومية على التعليم والمكاتب والصحة والصدقات زادت من ثلاثة أرباع بليون دولار سنة 1915 إلى بليون وثمنه سنة 1926،وأن الصدقات وأعمال الخير الخصوصية سنة 1927 بلغت 1080 بليون دولار لأغراض دينية،و257 مليونا للصدقات، و204 من الملايين للتعليم، و58 مليونا للفنون والألعاب وما أشبه ذلك...وفي الخمس والعشرين سنة الأولى من هذا القرن،تضاعف

دخل المعاهد الإنجيلية من الصدقات، وتضاعف دخل المعاهد اليهودية خمسة أضعاف، والكاثوليكية ستة أضعاف والمعاهد الأخرى ثمانية أضعاف، والمستشفيات 18 ضعفا،وظهر أن الأفراد أعطوا من أموالهم في المدة المذكورة على نسبة واحدة أي ربعا أو ثلثا من 1 في المائة سنويا . وقدر أن أمريكا تنفق نصف بليون دولار في السنة على مستشفياتها...» (النجاح، 1930، العدد877، ص3)

وفي هذا الصدد وجه رئيس تحرير النجاح-عبد الحفيظ الهاشمي[7]- نداء إلى الآباء داعيا إياهم إلى وجوب العناية الصحية بأبنائهم، بقوله: «...أيها الأب لقد برزت في هذا الوجود لتبني عشا، والعش هو العائلة والعائلة تتكون من الرجال، وهؤلاء الرجال هم الأبناء الذين تطلق عليهم الأكباد، هل لك عطفة تحمي ولدك وولد غيرك من وباء الأمراض التي شاهدتها بعيني رأسك، هل لك شفقة أبوية تحملك على تمزيق قيد الجهل،فينتشل مجموع أولادك من هوة الشقاء والتعاسة؟» (النجاح، 1930، العدد785، ص1)

وما يؤ، 1931تمام النجاح بهذا الموضوع إفرادها صفحة خاصة بعنوان "صحيفة الصحة والطب للعائلة" في العديد من الأعداد الصادرة سنة 1931، تضمنت تحليلات مستفيضة حول مختلف الأمراض المنتشرة من حيث أسبابها وأعراضها وطرق الوقاية منها، نذكر على سبيل المثال-لا الحصر- من العناوين البارزة التي تصدرت هذه الصفحة: "الإمساك (أسبابه وطرق علاجه)"، "التهاب الأمعاء"، "الحروق"، "غازات الأمعاء والمعدة"، "وقاية الأطفال من مرض السل" أضرار الفئران والطرق الحديثة لإبادتها"، "الأخطار التي تنشأ عن إفناء الكلاب والاقتراب منها"، "الهضم"، "زكام الصيف". (النجاح، 19311، أعداد :1197،1191، 1930،1349،1209،1203،1200، ص3)

ومن هنا ندرك الأهمية الإعلامية للنجاح في اهتمامها بهذا الموضوع، اذ كانت أحسن وسيلة ومرافق للجزائريين في مجال التحسيس والتوعية في المجال الصحي في ظل

---

[7]-(1892-1973) ولد بطولقة، حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم واصل تعليمه بالزيتونة(1911-1919)، وبعد عودته إلى الجزائر عقب الحرب العالمية الأولى أسس جريدة النجاح 1919، عرف عنه غزارة العلم والتواضع والأخلاق الفاضلة، والدفاع المستميت عن حقوق الطفولة الجزائرية.

سياسة التجويع والتفقير المفروضة عليهم من قبل المحتل الفرنسي سعيا منه إلى قتل روح المقاومة فيهم، ودفعهم للهجرة نحو الخارج،وملء الجزائر بالعنصر الأوروبي المهاجر.

4- الدعوة لحماية الاطفال من الاستغلال

نشرت النجاح مقالا بعنوان: بسط الكلام في أحوال الأمة والأيتام أبدى كاتبه[8] تأسفه على الواقع المهين الذي وصل إليه أطفال الجزائر اليتامى من خلال اشتغالهم في مسح الأحذية والعمالة والحراسة وفي المحاجر بالمدن والقرى لدى المستوطنين،كما حاول إجراء مقارنة بين حالة أيتام الجزائر وحال أيتام الدول الغربية بقوله:«... فقس بين حالة يتامانا، فكما وضحنا حالتهم، وأما يتاماهم فهم في أحسن حال بفضل ما استعملوه من التنظيمات، بحيث لا يفسد من مال اليتيم فلس، بل يبقى في زيادة مستمرة وهو في تربية وتهذيب أخلاق وتعليم، ومتى رشد وجد نفسه غنيا متعلما فيبقى في زيادة مادية وأدبية ».(النجاح،1929،العدد711،ص1)

ونبه صاحب المقال في هذا الصدد إلى الاستغلال الذي يتعرض له الأيتام من طرف أوصيائهم، الذين يخفون أموالهم ولا يصرحون بها. وإذا كانت الإدارة الاستعمارية اهتمت بهذا الموضوع، وعملت على اتخاذ التدابير اللازمة لتحسين حال اليتامى بواسطة ناظر الأمور الشرعية،وصدر في هذا الشأن مرسوم فيفري 24 أكتوبر "أمر فيه القضاة بلهجة شديدة بأن يراقبوا أشد المراقبة تصرفات الأوصياء والمقاديم، ويحاسبونهم على ذلك بغاية التدقيق،ولكن ماذا يفعله القضاة ولو بذلوا غاية مجهوداتهم إذا كان المقدم أو الوصي يخفي جل المال يوم الحصر ويحاسب على الباقي بما تمليه عليه نفسه". (النجاح،1929،العدد711،ص1)

[8]-بإمضاء ابن مهيدي باش عدل قالمة من مراسيلين النجاح والمهتمين بالطفولة الجزائرية لاسيما فئة الأيتام .

وفي توجيهه نداء للجميع من أجل تكاثف الجهود لحماية مال اليتيم من الاستغلال يقول:«...وبالجملة فإن خطر الفقر محدق بالأمة من الوجهة المذكورة، فهل يليق بنا نلازم السكوت ونهمل أمر يتامانا، الذي هو أصل سعادة أمتنا ماديا وأدبيا. وعندنا جرائد عربية فائقة، ومنا علماء أبرار، وفينا كتاب أخيار، ولنا نواب أحرار، ونحن تحت ظل حكومة يسير بعدلها المثل في الأقطار؟ كلا ينبغي لنا أن نعمل ولا نيأس من روح الله، و نميل ميلة واحدة على ذلك الخطر، وكل واحد يستخدم فكره ويسهر ليال في استنباط تنظيمات جديدة تتحسن بها حالة يتامانا، فتحفظ أموالهم وتقام تربيتهم، وتهذب أخلاقهم، ويتعلمون العام ما يحتاجونه تدينهم ودنياهم، وبهذا يمكننا أن نتوقع صلاح حال الأمة مستقبلا».(النجاح،1929،العدد711،ص1)

وفي مقال آخر بعنوان: "لرعاية اليتامى"تأسف كاتبه[9] على الواقع المؤلم الذي أصبحت عليه فئة الأطفال اليتامي بقسنطينة في سنة1927، وفضح في نفس الوقت محاولة بعض الجمعيات المسيحية البروتستانتية استغلال ظروفهم لتمسيحهم على طريقتها الخاصة: «...ويتاماها (قسنطينة) مهملون جائعون عراة حتى استحوذت عليهم جمعية(البروتيستانت)[10]،وجعلت منهم جيشا من الذكور وآخر من الإناث لا لمحاربة الدين فقط، بل لمحاربة الحكومة الفرنسية، لأن الطفل الذي يشب في حضن قوم ويتشبع بتربيتهم وتعاليمهم، لا مطمح لنا في استمالته مرة أخرى، والمرء يشب على ماشب عليه.نشاهد كل صباح ومساء فريقا من الأولاد وآخر من البنات،مارين من

---

[9]- وهو مامي إسماعيل(1889-1956)، ولد بقسنطينة، أسندت له رئاسة تحرير جريدة النجاح.(1919-1956)،تميز بالدهاء والكفاءة في إدارة الجريدة. أنظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، وأعلامها من 1903 إلى 1931، المجلد2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1978،ص 224.

[10]-وهي جمعية تنصيرية، نشطاؤها من جنسيات أمريكية وانجليزية وسويسرية، وفدت إلى الجزائر، واتخذت من العاصمة مركزا لها،نشطت بمنطقة القبائل، ثم امتد عملها التنصيري إلى سائر مناطق البلاد: روني فانلاند، جماعة المبشرين الأمريكانية (ميتوديست) ببلاد القبائل،ج01، مجلة الشهاب، ج4، م5، غرة ذي الحجة 1347هـ/ماي 1929،ص14

المكتب إلى الدير فتقشعر جلودنا، ولكن هل نضرب لذلك حسابا كلا. إذ لو كنا متفطنين لهذه الجمعية التي أن تخرط من أولادنا سلاحا تحاربنا به لما اقشعرت جلودنا فقط... » (النجاح، 1927، العدد406، ص 1)

ويرى صاحب المقال أنه من السهولة بمكان إنقاذ اليتامى من مخالب الفقر والجمعيات التنصيرية وذلك بتكاثف جهود جميع الجزائريين على مختلف فئاتهم عن طريق العمل الخيري المؤسساتي أي إنشاء دور خاصة لإيواء اليتامى والتكفل بهم، على غرار ما عرفته الجزائر العاصمة التي تأسست بها (جمعية فقراء المسلمين) التي اعتنت بالأطفال الأيتام الذين وفرت لهم أماكن خاصة بهم" بعدأن نظفت ثيابهم وأبدانهم وعرضتهم على الفحص الطبي، فمن كان منهم مريضا عالجته، ومن كان صحيحا مقتدرا على الخدمة أرسلته إلى مكاتب التعليم والصنائع" وقد نجحت هذه الجمعية في مسعاها بفعل حزم رجالها (النجاح،1927،العدد406،ص 1)

وأظهرت النجاح مرة أخرى حسرتها إزاء واقع الطفل الجزائري في سنة 1929، من خلال استمرار تعرضه للاستغلال بطريقة دنيئة وعنصرية من قبل المستوطنين، محاولة بذلك تنبيه الأولياء إلى حالة أبنائهم المأسوية واستنهاض هممهم، فخاطبتهم بقولها: «...حملوه ما لا يطيق أبناء(الطليان) برفع الصخر من الطابق الأسفل إلى الطابق الأعلى، علموه كيف يضرب بالمطرقة الحجر فيفتته إربا إربا، ثم يطبخه بالرمل، علموه رفع المعول بالفأس حتى يصل إلى تخوم الأرض. هذا ما علمه أبناء الطليان من ضروب الشقاء والنكال...» (النجاح، 1929، العدد804، ص 1).

وتستمر النجاح في إبراز مظاهر معاناة هذه الفئة من ظروف العمالة وضغط العائلة، بقوله:«...يأتيه يوم القبض(السبت) الطلياني يأخذ الستين والسبعين في اليوم، وابنك يأخذ سبع فرنكات في اليوم...فيما ينفق هاته الفرينكات التي زهق فيها دمه وضحى في سبيلها صحته، وأنفس الأوقات لينفقها على العيال. والعائلة يلزمها أكثر من ألف في الشهر...فيبقى حائرا، وعائلته تمتص دمه ولحمه، فيعيش عيشة المذنبين، كل هذا والعائلة المتركبة من أخ وأخت ووالدة، ترمقه العيون وتترقب فيما يأتيه إليها من غذاء وفطور...».(النجاح،1929،العدد804،ص 1).

وكررت النجاح دعوتها في تأسيس مؤسسات خيرية لمساعدة الفقراء عامة وحتى شريحة الأطفال الأيتام من الاستغلال سنة 1930،حيث كتبت في هذا الشأن تحت عنوان: "شكوى الجهل والفقر وفي إمكاننا مقاومتهما"، تبرز فيه أهمية هذا المبادرة المتمثلة في تأسيس جمعية خيرية تجارية، يساهم فيها كل أفراد المجتمع بمقدار خمس فرنكات، حتى تتمكن من القيام بالدور المنوط بها، والمتمثل أساسا في مساعدة الفقراء ومقاومة الأسعار المشطة تحت تأثير الوسطاء التجاريين. (النجاح،1930،العدد1071)

وجددت دعوتها لتجسيد المشاريع الخيرية في سنة 1931، ونورد في هذا الصدد ما جاء في افتتاحية بعنوان: "احتياجنا إلى مؤسسة صناعية تنتشل الأرامل والأيتام من شر الفقر المدقع"، استهلته بإبداء تحسرها إزاء استمرار معاناة هذه الشريحة بقولها: "أيتام في الشوارع مهملون وأرامل مهملات، يتلقون كل لحظة بأجسادهم العارية من البرد قبحا ومن المسغبة لبسا، وما لهم بعد الله ملجأ أو منجى، غير جود أهل الجود عليهم، وغيرة أهل الغيرة من أبناء قومهم لاسيما في الأوقات الحرجة"، وفي رأي "النجاح"أن أهل البر والصدقات قد تضطرهم الظروف للتوقف عن مساعدة هذه الشريحة، لذلك "كان لزاما إحداث مؤسسة صناعية، يتعلم فيها الفريقان(الذكور والإناث) صناعة شريفة كل حسب مواهبه العقلية وجهوده البدنية، وبمثل هذا العمل يؤمنون غائلة المجاعة، ويصبحون بفضل صناعتهم عاملين على ترقية المجتمع، والأخذ بأيدي غيرهم من المستضعفين والمساكين، الذين لا يستطيعون حيلة يتغلبون بها على معاكسة الدهر إلا أن يؤخذ بأيديهم". وطالبت "النجاح" كذلك من نواب الجزائر المساعدة على تجسيد هذا المشروع الخيري ميدانيا.حتى يتم حفظ ماء وجه المستضعفين والأيتام على حد تعبير الجريدة.(النجاح، 1931، العدد1227،ص 1)

5- الحث على تعليم الأطفال والاهتمام بتربيتهم

لا نكون من المغالين إذا قلنا أن جريدة النجاح أولت اهتماما لا مثيل له بموضوع التعليم والتربية، وذلك في جميع أعدادها الصادرة خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات إلى درجة يصعب على الباحث الإلمام بجميعها، خاصة وأن أشكال الكتابة الصحفية حول هذا الموضوع جاءت متعددة، إذ شملت الافتتاحيات، المقالات المنسوبة للجريدة وأخرى منقولة عن صحف أجنبية غربية وعربية، إضافة إلى التقارير، والتحقيقات، والأعمدة الخبرية، وحتى القصائد الشعرية،فكل ذلك يعكس مدى اهتمام النجاح

بالتعليم عامة، وتعليم الأطفال خاصة. فنذكر من هذه الكتابات التي ترجمت دفاع النجاح عن تعليم الأطفال، افتتاحية بعنوان: "في سبيل التهذيب والتربية يجب الاعتناء بأبنائنا إذ هم رجال المستقبل"نشرته سنة 1924،حثت من خلاله على ضرورة الاهتمام بتربية الأطفال وتعليمهم لأن"الطفل يشب ويكبر على الشكل الذي أفرغ في قالبه، والصورة التي منحها له أهله، والعادة التي صادفها في طريق تربيته، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا. والابن، 1924على ما كان والده، إن الأصول عليها ينبت الشجر فيجب على الآباء،وولاة أمور الأحداث أن يقوموا بتربيتهم وتعليمهم على الوجه الأكمل" ولو سلكت كل عائلة ذلك المنهج القويم، وقامت بحقوق التربية والتعليم لم تلبث أن تؤلف أمة سامية القدر جليلة الذكر لا يشق غبارها ولا يضام جوارها، بل ينهض بها الوفاق وينحط بها الشقاق وتكون أسس حضارة".(النجاح، 19244، العدد165،ص 1)

وفي افتتاحية أخرى بعنوان: "علموا الأبناء" نشرتها سنة 1928، انتقدت فيها تقصير الأولياء في حق تعليم أبنائهم من خلال عزوفهم عن الالتحاق بالمؤسسات التعليمية حتى وإن كانت محسوبة على التعليم الرسمي الفرنسي، لأن مقاطعة هذا النوع من التعليم وأي تعليم آخر كان سيبقيهم على حالتهم من الجهل الذي هو وباء خطير، مذكرة بحيوية هذا القطاع لدى الأمم المتقدمة لعنايتها بتعليم أطفالها، وتدعم ذلك الجريدة بقولها: "الوقت نفيس جدا ولن يصلح الله المرء إلا بالتعليم، ونحن زاهدون في الوقت وفي العلم، في زماننا خزف بينما أزمان الأمم ذهب، والتعليم لدينا مهجور، وبينما هو لدى الأمم حيوي واجب".

ولم تتوان "النجاح"في توجيه نداء إلى مختلف فئات المجتمع، لاسيما أصحاب البر والإحسان لإنشاء جمعيات توكل لها مهمة تعليم الأطفال للحيلولة دون استغلالهم في أعمال بائسة، مشيرة لذلك بقولها«...وقد بحت الأصوات لنداء من يرجى منهم الاهتداء إلى طريق البر والإحسان بأن يقوموا بإنشاء جمعيات لتعليم بني الفقراء، الذين يقضون اليوم شرخ شبابهم في تنقية الأحذية، وحمل الأثقال على ظهورهم كأنهم حيوانات. وأن خدمة هذه المسالة الإنسانية قبل كل شيء لأجدر مسألة بالعمل...». (النجاح، 1928، العدد 639،ص 1)

وفي افتتاحية أخرى بعنوان: "وعلموا الأبناء أيضا"، حملت النجاح الأولياء مسؤولية إهمال حقوق أبنائهم التعليمية، وحاولت تأنيبهم بقولها: «...أولادنا تمر عليهم الشهور والأعوام، وهم أشبه شيء بالحيوان الساذج، وشرخهم ينفق في غير صالح لهم، ولا غيرة تدعو أبائهم إلى انتشالهم من الهلاك الأبدي... فالعار أن نرضي بالجهل مناخا. وقد سهل السبيل علينا وأمكننا مشاركة الأحياء في معلوماتهم الفنية، ونحن ساهون بما هو فيه نفعنا، والله هو الموفق لما فيه السداد».(النجاح، 1982، العدد 641، ص 1)

وتستمر "النجاح" في دعوتها لتعليم أطفال الجزائر:«...فينبغي علينا معاشر الإخوان الإقبال على طلب العلم بالكد والجد ولو بالسهر في الليالي الطوال حتى نفوز وأفرادنا منه، ونكون كغيرنا من السادات المتنورين الذين اشتعلت في قلوبهم محبة العلم واشتغلوا بما يعنيهم وأزاحوا عنهم الخمول والمثبطات ورفضوا وراءهم الملاهي وأقبلوا على التعليم حتى نالوه بأفكارهم السليمة...».(النجاح، 1928، العدد674، ص 1)

ومن خلال افتتاحية بعنوان: "أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض، الجهل يحصدهم والكسل يفنيهم"،خاطبت فيها مرة أخرى الأولياء من أجل استنهاض هممهم بقولها: «.. لماذا ولدته؟ ولدته لأن يكون عبثا في المجتمع الإنساني وتركته ليحصده الجهل بمنجله، ثم يوكل به آفة الكسل فتفنيه. لا لا ولدته لكي يكون عندك بمنزلة الكبد من الإنسان، والكبد كما قلنا لا يهان بل يصان. ودائما ينبغي للوالد أن يعطف على ولده ثم يجعل نصب عينه هذه الكلمة (أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض)...».(النجاح، 1929، العدد785،ص 1)

وتحاول النجاح من خلال هذه الافتتاحية التذكير بواقع الطفولة الجزائرية الاستغلالي الكارثي حيث خاطبت الأولياء الغافلين بقولها: «...هات يدك وهيا نذهب إلى الطرقات العامة، فنجد أكبادنا التي هي أعز علينا من النفس التي بين جنبينا، نجدهم حاملين للصناديق فوق الظهور، يمسحون أحذية الفرنسي واليهودي والطلياني والعربي، نجدهم في الليالي القمرة يقمرون، ثم بعدها يسرفون نصف الليل، يذهبون إلى المزابل والمحال العفنة فينامون وكيف يصبحون؟ يصبحون بوجوه عليها غبرة قترة ...هيا نذهب إلى المصانع الحديدية وفتش عليهم فلا تقف لهم فيها على أثر، وإلى المدارس فنجد النزر القليل ولا يكفي للمقابلة مع أبناء غيرنا، فضلا عن التحصيل والتفوق عليهم في مضمار الحياة. هات يدك وهيا نذهب إلى شوارعنا فنجد فلذات أكبادنا

مكدسة بلا عقول نيرة، ولا عمل يلهيهم عن اللعب، ولا همة شماء تعلو بهم إلى أوج الكمال، وتهيئهم لمصاف الرجال...». (النجاح، 1929، العدد785، ص 1)

وتستمر النجاح في توجيه انتقاداتها للأولياء المفرطين في تعليم أبناءهم وتربيتهم قائلة:«...أفرطت وفرطت يا والد في ابنك،فتركته رهن الجهل، رهن الخمول، رهن التكاسل رهن الغفلة، رهن الأهواء. ولدته وتحملت مشاق مؤنه وزاده، واليوم تقتله بيدك،هل فيك رحمة يا ولد؟ ...هل لك شفقة أبوية تحملك على تمزيق قيد الجهل، فتنشل مجموع أولادك من هوة الشقاء والتعاسة... »(النجاح، 1929،العدد785، ص 1)

وتقترح"النجاح"على الأولياء السعي لجمع المال بهدف بناء المدارس التعليمية: «هل لك صرخة تقذفها في أذنك وأذن غيرك ليهبوا من الرقاد، ويجمعوا المال لتأسيس المدارس والمصانع، فيخرج شبابنا من الفقر ومن الضياع، ومن الهملة ومن سوء الأخلاق إلى سرافي الكمال. إن الفرصة ثمينة أمامك فاغتنمها...فانفض عنك غبار الكسل ولا ترهق شباب الحي برقادك، ولا تمن عليه بأبوتك، التي ما زادته إلا فتورا في مغالبة الأزمات فتورا في فكره فتورا في عمله فتورا في أمانه وسيأتيه إنشاء الله وقت سعيد... ». (النجاح، 1929، العدد785، ص 1)

كما انبرت النجاح للدفاع عن تعليم البنات،حيث رأت أن تعليم البنات المسلمات واجب وضروري لأنهن يمثلن "مدارس المستقبل وفي حجورهن يتمرغ أبناء الجيل القابل" (النجاح، 1931،العدد1227،ص 1). فيجب أن تتربى البنت على الأخلاق الفاضلة والطباع السلسة. ولتحقيق ذلك لابد من تأسيس مدارس للبنات "يكون من واجباتها إلقاء دروس في الآداب، والأخلاق، والدين، ويجب على هاته المدارس أن تلقي دروسا في التربية الوطنية بكتب خصوصية تؤلف لهذا القصد وأنه "يجب عليها أن تتعلم وهي تلميذة في المدرسة أصول تدبير المنزل، وفن الطبخ، ومبادئ الاقتصاد، وعلم الصحة، والأشغال اليدوية، والخياطة، والتمريض،هذا هو الذي يفيدها في المركز الذي أعدت لأن تشغله خصيصة في الهيئة الاجتماعية". (النجاح،1928، العدد1058،ص 1).

ولا ترى النجاح مانعا في تعليم اللغات الأجنبية لأطفال الجزائر، مع ضرورة الاعتزاز باللغة العربية والدفاع عنها، حيث كتبت في هذا الصدد قائلة: «...وأن أول لغة يجب على كل فرد تعلمها هي لغة جنسه، فعلينا بتعلم عربيتنا نحن العرب لإصلاح حال ديننا

ودنيانا، ثم نأخذ في تعلم اللغة الأجنبية ثانيا حسب التراتيب الطبيعية في كل شيء، حتى إذا منعنا وحرمنا من تعلم لغة غيرنا، كانت لغتنا بأيدينا عدة لنا وفيها ما يغنينا عن كل لغة لشمولها سعادة الدارين...»(النجاح، 1931، العدد1122،ص 1)، وهناك مقالات هامة نشرتها"النجاح"في هذا الاتجاه،حيث شجعت من خلالها الجزائريين على تعلم اللغات الأجنبية للخروج من حالة الجهل والجمود الفكري وبالتالي فهم ثقافة الآخر وأفكاره وكذا الاندماج في الحياة المهنية.(النجاح،1931، العدد1225،ص1)

ويظهر أن "النجاح"ترى بوجوب تعليم أطفال الجزائر بغض النظر عن شكل وطبيعة هذا التعليم سواء كان تعليما رسميا أو عربيا حرا،فالمهم عندها إخراج هذه الشريحة من عالم الجهل واللهو إلى عالم النور والتمدن، ومن الاستغلال اللاإنساني الذي مورس عليها في لعمالة إلى مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري، وأنه يجب كذلك أن يتعلم الطفل التعليم المهني والصناعي كالبناء والحدادة والفلاحة والتجارة والميكانيك. (النجاح،1929، العدد804،ص 1)

وخاصة أنها كانت تلجأ إلى المقارنة بين أطفال الجزائر وأطفال بني إسرائيل وفرنسا بقولها: «...هل أنت ترى الطفل الصغير من أبناء إسرائيل يعاني من مرارة التعليم الفرنسي والتعليم الديني اليهودي حتى إذا كبر كان عضوا عاملا في الهيأة الاجتماعية، ويطلق عليه رجل العمل والوطن، ورجل الحي الاقتصادي وبهذا تكونت فيهم روح الاتحاد وأصبحوا سادة الأمم وروادها .ها أنت ترى الابن الفرنسي يحمل الشهادة الابتدائية في العشر الأولى من سنه. ثم إذا شب على هذا البر، خامرت فؤاده فكرة أخرى ألا وهي العمل على قتل الكسل، والسير وراء المصلحة العامة، والتكالب على حب السيادة والسلطان، ثم يعد في مصاف الرجال الأقوياء بأجسامهم وأرواحهم...».(النجاح، 1929، العدد785، ص1)

فالتعليم هو الوسيلة الفعالة للارتقاء بهذه الشريحة،لذلك شجعت إقبال الجزائريين الأطفال على مؤسسات التعليم العربي الحر، التي تفاءلت بها خيرا في المستقبل،مشيرة لذلك بقولها: «...المؤسسات الأهلية الحرة أخذة في التأسيس والنمو بفضل الله، وحزم العاملين في كل بلد وقرية متدفقة باللغتين، فما لنا لا نتزاحم على إدخال أبنائنا إليها...إننا والحمد لله نتفاءل بمستقبل مبارك إذ نرى يوما بعد يوم على صفحات

جرائدنا المؤسسات الجديدة للمكاتب العربية الحرة، والجمعيات الخيرية بمختلف جهات البلاد...»(النجاح، 1931العدد1225،ص 1).

خاتمة

من خلال معالجتنا لهذا الموضوع توصلنا إلى تثبيت النتائج التالية:

- الواقع المأسوي الرهيب للأطفال الجزائريين الأهالي في ظل النظام الاستعماري المفروض عليهم خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، حيث عانوا من مخاطر المجاعة والأمراض والأوبئة، ومن الاستغلال اللاإنساني الذي مورس عليهم من طرف المستوطنين أصحاب المؤسسات الصناعية والخدمات والمزارع بالجزائر المستعمرة، إضافة إلى حرمانهم من حقوقهم التعليمية والصحية.
- اهتمام جريدة النجاح الإعلامي بمعاناة الطفولة الجزائرية خلال هذه الفترة، كاشفة وفاضحة بطريقة أو بأخرى الإدارة الاستعمارية على إهمالها لهذه الشريحة معنويا وماديا، في الوقت الذي كان فيه أطفال المستوطنين يعيشون حياة ملؤها الاستقرار والطمأنينة جراء العناية الصحية والتعليمية والاجتماعية التي وفرتها لهم الإدارة. كما حملت الأولياء مسؤولية إهمال أبنائهم في الشوارع وحرمانهم من الالتحاق بالتعليم لانشغالهم بلقمة العيش.
- صرخة النجاح في سبيل حماية الطفولة الجزائرية والتكفل بها صحيا وتعليميا واجتماعيا، داعية في هذا الصدد إلى تكاثف الجهود بين مختلف فئات المجتمع الجزائري لإيجاد مؤسسات تعليمية، وخيرية للارتقاء بهذه الشريحة من حالتها البائسة إلى مكانة أفضل باعتبار طفل اليوم هو رجلا لمستقبل.
- إيمان "النجاح" القوي بأن التعليم والتربية يمثلان الوسيلة الناجعة لبناء جيل المستقبل يراهن عليه في بناء الأمة والذود عنها، وبدور المؤسسات الخيرية فبإنقاذها الطفولة الجزائرية من مستنقعات الفقر، والأمراض ومخالب التنصير، ومن استغلال المستوطنين الرأسماليين، والجمعيات المسيحية التنصيرية.
- إن اهتمام "النجاح" بهذا الموضوع يعكس ثقافة كتابها الموسوعية وغيرتهم القوية على أطفال الجزائر على غرار عبد الحفيظ الهاشمي ومامي إسماعيل.... وغالبا ما

كان يطغى على مقالاتها أسلوب الخطابة والاستشهاد بالقرآن والأحاديث النبوية الداعية إلى طلب العلم والعناية بالطفولة.

- تنوع المادة الصحفية وغزارتها، إذ شملت افتتاحيات ذات عناوين مؤثرة وملفتة، ومقالات ذات شروحات مستفيضة، وتقارير، وقصائد شعرية عالجت جميعها واقع الطفولة الجزائرية والدعوة لإنقاذها وتمكينها من حقوقها التعليمية والصحية والاجتماعية، وأن الجريدة ركزت في اهتمامها بالموضوع على الافتتاحيات وذلك بهدف التأثير على القراء وللإدارة الاستعمارية والجمعيات المختلفة.
- إن الاهتمام الذي أولته النجاح بالطفولة الجزائرية يستحق كل الإشادة والتنويه في ظل هيمنة الصحافة الكولونيالية على الساحة الإعلامية ومعارضتها لكل الإصلاحات الفرنسية التي من شأنها منح حقوق المواطنة للجزائريين الأهالي حتى لا يتساوون مع المستوطنين في الثروة والحكم. إضافة إلى محدودية صحف الأهالي في هذه الفترة، بسبب التعطيل الاستعماري الذي طالها لنزعتها الوطنية، لذلك وفقت "النجاح" بواسطة خطها الإعلامي والفكري القائم على مهادنة الاستعمار في معالجة مثل هذه المواضيع مع تجنب الدخول في مواجهة مباشرة مع الإدارة الاستعمارية عندما يتعلق الأمر بانتقاد الواقع الاستعماري. وعليه فقد كانت النجاح أهم منبر إعلامي لطرح انشغالات الجزائريين والتعريف بمطالبهم لدى السلطات الفرنسية، وهذا يحسب لها ومما اتهمت فيه بموالاتها للإدارة الاستعمارية دون فهم إستراتيجيتها الإعلامية والظروف الاستعمارية التي كانت تشتغل فيها.

المراجع

- جريدة النجاح (1919-1956)، لصاحبها: ابن الهاشمي عبد الحفيظ، قسنطينة، الأعداد التالية:
- العدد162، (الجمعة 1924/06/13)، ص1
- العدد165، (الجمعة 1924/7/5)، ص 1
- العدد406، (الجمعة 1927/2/11)، ص 1
- العدد639، (الجمعة 1928/9/16)، ص 1
- العدد668، الاثنين 1928/11/26، ص1
- العدد 674،(الاثنين 1928/12/11)،ص 1
- العدد711، (الأربعاء 1929/3/6)، ص 1
- العدد785، (الأربعاء 1929/9/11)، ص 1

- العدد804، (الجمعة1929/10/25)، ص 1
- العدد 876، (الجمعة 1930/2/28)، ص 2.
- لعدد 877، (السبت 1930/3/1)، ص 2.
- العدد 1058، (الأربعاء1930/10/22)، ص 1
- العدد1071، (الجمعة 1930/11/7)، ص 1
- العدد 1122، (الجمعة1931/2/27)، ص 1
- لعدد 1191، (الأربعاء 1931/8/12)، ص 3
- العدد 1197، (الأربعاء 1931/8/26)، ص 3
- لعدد 1200، (الأربعاء 1931/8/25)، ص 3
- العدد 1203، (الأربعاء 1931/9/8)، ص 3
- العدد 1206، (الأربعاء 1931/9/16)، ص 3
- العدد 1209،(الأربعاء 1931/9/21)،ص 3
- العدد 1225، (الجمعة1931/10/30)، ص
- العدد1227، (الأربعاء 1931/11/4)، ص 1
- العدد 1233، (الأربعاء 1931/11/18)، ص 3
- العدد 1339، (الأربعاء 1931/12/2)، ص 3
- العدد 1349، (الأحد 1931/12/25)، ص 3

1. سعيدي مزيان ، 2010. السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها(1871-1914)، ج02، ط01، دار سنجاق الدين للكتابة، الجزائر.
2. فانلاند روني، 1929. جماعة المبشرين الأمريكانية ميتو ديست ببلاد القبائل"،ج01، مجلة الشهاب،ج4، م5، غرة ذي الحجة 1347هـ/ماي 1929، قسنطينة.
3. ناصر محمد، 1978. المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، وأعلامها من 1903 إلى 1931، المجلد2، الشركة الوطنية والتوزيع الجزائر.
4. ناصر محمد، 2006. الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى1954، ط02، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر.